طهران تحولت خلال خمسة اسابيع من مصدر تهديد الى دولة يتوجب «الاصغاء الى مطالبها»

الامريكيون يرضخون للغة القوة الايرانية والثمن الذي ستدفعه واشنطن واسرائيل على الطريق

■ بعد «سلة الأدوية» التي تقترحها واشنطن وحليفاتها على ايران، أرسل محمود أحمدي نجاد رسالة شخصية اخرى الى «الشريك» الجديد، جورج بوش، وكتب فيها: «بعد أن سمعت عن اقتراح السيدة كونداليزا رايس حول رزمة العصا والجزرة التي تعدونها لنا، وبعد تفكير معمق وادراك لرسالتنا المشتركة للسلام العالمي التي كتبت لك عنها في رسالتي السابقة، فانني أعرض عليك التعاون على الأساس التالي: نحن مستعدون لايقاف تخصيب اليورانيوم لمدة عشر سنوات شريطة أن توقع إسرائيل على معاهدة حظر نشر السلاح النووي، وتفتح منشآتها النووية أمام الرقابة الدولية وأن تعترفوا أنتم الامريكيين بشرعية حماس وتتوقفوا فورا عن سياسة العقوبات الدولية المفروضة على السلطة الفلسطينية، وأن تتوقفوا عن ازعاج صديقتنا سورية، وأن تلغوا الحظر التجاري الذي فرضتموه على البنوك السورية، وأن تعملوا على تعديل القرار 1559 بطريقة تنظم سلاح حزب الله بصورة قانونية».

«اذا توصلنا يا سيد بوش الى تفاهم في هذه المسائل، فسنتمكن ايضا من التداول في الوضع العراقي ومساعدتكم في تحديد موعد قريب لسحب قواتكم من هذه الدولة المحتلة. نحن متأكدون، يا سيدي الرئيس، أنكم واسرائيل ستكونون مسرورين من إزالة التهديد الوجودي الذي نمثله، حسب اعتقادكم، من خلال التنازل عن قضايا قليلة القيمة مثل حزب الله وحماس».

هكذا يتبين لنا أن القدرة على صياغة عرض يقوم على العصا والجزرة لا تقتصر على الدول الغربية العظمى وحدها. ايران بدورها تعرف كيف تصيغ ذلك، خصوصا وهي تمسك بعصا ضخمة ومخيفة.

من خلال الادراك لعظمة القشعريرة التي تصيب بها هذه الرسالة ظهر اسرائيل سيُقال فورا: الرسالة لم تُرسل بعد، ولكن من المحتمل أن تكون في طور الاعداد الآن، ذلك لأن ايران قد تحولت خلال خمسة اسابيع من مصدر تهديد الى دولة يتوجب «الاصغاء الى مطالبها» والى «شريك تفاوضي». أي أن من يريد أن تبقى ايران متمسكة بمعاهدة حظر نشر السلاح النووي، يتوجب عليه قبول حقها في تطوير ذرة للاغراض السلمية، ذلك الحق الذي تضمنه المعاهدة. ومن لا يصدق تمسك ايران بالسلام، يتبين له أن عليه أن يفعل ذلك بصورة تتجاوز تجهم الوجه الاعتيادي من خلال وضع ايران على محك حقيقي. التفاوض معها بطريقة لا تقل ولا تزيد عن الطريقة المتبعة مع كوريا الشمالية. وهكذا يكون العرض الامريكي قد وُلد. ليس فقط من خلال الادراك الأساسي بأن واشنطن لا تستطيع التحرك لوحدها من اجل تطبيق تطلعاتها الاستراتيجية. واشنطن مطالبة في هذه المرة ايضا بالبرهنة على صفاء نيتها وابداء الاستعداد الدبلوماسي قبل اندلاع النيران. هذا هو المنتوج الاستراتيجي الأهم للحرب ضد العراق. وايران تحديدا هي أول المستمتعين بذلك.

من المكن الافتراض أن واشنطن قد وجدت في قلبها الحكمة لسؤال نفسها: وماذا سيحدث اذا وافقت ايران على التفاوض؟ أحمدي نجاد رفض المبادرة، إلا أن ذلك كما هو معتقد بداية التفاوض على التفاوض. قبل شهر أوضح لمن وافق على الاصغاء اليه بأن ايران تتحدث الآن من موقع الدولة العظمى النووية، وهكذا تتوقع أن تُعامل. أي أنها تريد اجراء مفاوضات مباشرة مع الولايات المتحدة من دون شروط مسبقة، وسترغب في أخذ دورها في صنع السياسة العالمية. هذا ما كتبه لبوش ايضا في رسالته الشهيرة التي رفضتها رايس بقولها: «هذه وثيقة فلسفية». هذه الوثيقة الفلسفية المكونة من 18 صفحة قد تظهر كورقة عمل الآن، واذا كان الحديث يدور حول العراق، فان ايران ترغب في أن تكون شريكة، هذا ناهيك عن القضية الفلسطينية.

واسرائيل؟ هي ايضا تملك نسبة صغيرة ووجودية. هي ايضا ستضطر الى دفع ثمن ما من اجل الصراع الدبلوماسي ضد الذرة الايرانية. فجأة سيتبين لها ايضا أن مجرد الاستعداد للتفاوض مع دولة تعتبر عدوا للانسانية ليس الجائزة، بل وسيلة فقط للوصول اليه (أي التفاوض).

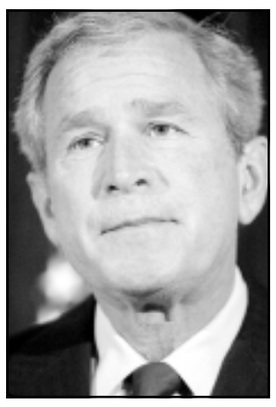

جورج بوش

احمدي نجاد

تسفي برئيل
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2006/6/4

لانها لا تعمل انطلاقا من القوة بل من الضعف والفزع الكبير

ايران يمكنها أن تكون المرشحة الاولى في الشرق الاوسط لتحول ديمقراطي حقيقي مؤيد للغرب بعد اسرائيل

■ هل الحرب الامريكية ـ الايرانية لا مفر منها والتي من المعقول الافتراض بأن اسرائيل ستتعرض فيها للهجوم؟ وماذا سيحصل بعد مثل هذه الحرب؟ فايران هي دولة أقليات متنازعة فيما بينها، وثمة خطر حقيقي في أن يرتبط الارهاب الاسلامي من افغانستان عبر ايران والعراق في كتلة متواصلة هائلة الحجوم. كيف ستقف كتلة الدول المعتدلة في المنطقة، وعلى رأسها اسرائيل، حيال مملكة القاعدة، الكبيرة والمهددة هذه؟

مع ان الولايات أعربت عن استعدادها للشروع في مفاوضات مباشرة مع ايران، ولكن هذا الاقتراح يبدو كأحبولة لمحاصرة طهران قبل نظام العقوبات الدولية. ويكاد يتفق الجميع في اسرائيل على أن على التحالف الدولي مهاجمة ايران، ولكن هذا المقال يدعي بان هناك سبيلا دبلوماسيا مفضلا.

الولايات المتحدة ستعرض على ايران الدخول في مفاوضات مباشرة دون شروط مسبقة، وفي اثنائها ستعرض على ايران الخطة التالية: ايران يكون بوسعها تطوير برامج نووية، ولكن للاغراض السلمية فقط، بشفافية تامة وبرقابة تامة من الولايات المتحدة بل وبالتعاون معها. فمن حق كل دولة تطوير برامج نووية لاهداف مدنية. كما أن الولايات المتحدة ستتعهد بالتخلي عن برنامجها لاسقاط النظام القائم في ايران القوي جدا على اي حال. كما ستعلن الولايات المتحدة عن وقف العقوبات المفروضة على ايران منذ الثورة.

لمثل هذه الرزمة من الاقتراحات ايران كفيلة بالموافقة، ولكن هنا ستأتي التزاماتها: هجر محور الشر والتأييد لسورية، لحزب الله، لحماس والجهاد وعدم التدخل في النزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني، مثلما قررت سياسة الرئيس السابق لايران محمد خاتمي. وكما نذكر، فقد ادعت ايران في حينه بانها ستقبل كل اتفاق بين اسرائيل والفلسطينيين. والتراجع الايراني عن تأييد حماس والجهاد سيلقص جدا حجم الارهاب في منطقتنا، سيجعل الحدود الاسرائيلية مستقرة وسيسهل الوصول الى تسويات اسرائيلية ـ فلسطينية.

اذا ما تطورت الامور بهذا الشكل، فستنتهي العملية بعلاقات دبلوماسية كاملة بين واشنطن وطهران وتبادل للسفراء. وللدولتين مصلحة كبرى بقبول الخطة المقترحة. نظام أحمدي نجاد يخشى جدا اسقاطه. ومن هنا العداء الذي يبديه تجاه الغرب. وفي ايران توجد أقلية ليبرالية تحتاج الى مساعدة من الخارج. وكلما تناكف الغرب مع احمدي نجاد، تجد الاقلية الليبرالية نفسها ملزمة للانصياع الى الخط المتصلب. اما تهدئة العلاقات فلعلها تؤدي الى صعود رئيس اكثر اعتدالا في الجولة القادمة من الانتخابات وتغيير وجه السياسة الايرانية دون اهتزازات من شأنها أن تؤدي الى حرب ضد النظام. وهكذا بشكل تدريجي الاقلية كفيلة بأن تصبح أغلبية. وأكثر من ذلك فان للولايات المتحدة وايران على حد سواء مصلحة في استقرار الوضع في افغانستان والعراق، الدولتين اللتين تحيطان ايران وتبثان اليها عدم الاستقرار.

ايران لا تعمل انطلاقا من القوة بل من الضعف والفزع الكبير. وسياسة أمريكية حكيمة لا يزال يمكنها ان تحول عدو اليوم الى حليف الغد. وبقدر ما يبدو هذا غريبا، فان ايران بالذات يمكنها أن تكون المرشحة الاولى في الشرق الاوسط لتحول ديمقراطي مؤيد للغرب حقيقي، بعد اسرائيل.

غي باخور
مستشرق
(يديعوت احرونوت) 2006/6/4

التمثيل الطائفي في الساحة السياسية الاسرائيلية ضروري لان الجاليات تستطيع امتلاك القوة بوسائل اخرى في الدولة

■ هل أصبحت السياسة الاسرائيلية تكبح المهاجرين الروس السابقين؟ فقد اضطر ايهود اولمرت في الاسبوع الماضي أن يدافع عن نفسه من تهمة كهذه، وذلك بعد أن أصبحت «المجموعة الروسية» في حزبه، قليلة نسبيا، ومن المجموعة لا يوجد أي وزير في حكومته، بل إن نتان شيرانسكي تطرق في اقواله عندما قال إن ايام صلاح شبتي بطل افرايم كيشون الأسطوري، قد عادت، ولكنها هذه المرة ضد المهاجرين من الاتحاد السوفييتي لصالح اولئك المهاجرين من الدول العربية، وإن التمييز هو ضد أبناء طائفته.

هذه الحادثة تدفعني الى ملاحظة الضرورة والأساس في ضرورة التمثيل الطائفي في الساحة السياسية الاسرائيلية. وما أقوله عن قناعة في هذا المجال إنه لا توجد علاقة دائمة بين حجم التمثيل السياسي وبين مصدر القوة الحقيقي لهؤلاء الممثلين السياسيين، وفي بعض الاحيان فان التركيبة السياسية تشهد بوضوح على عدم نسبية المندوبين السياسيين وبين طبيعة تركيبتهم الطائفية ـ القومية، وأنهم يكونون بمواقعهم لا علاقة لهم بحجم الانتماء الذي ينتمون اليه.

ان مسألة التمثيل الطائفي (الانتماء) سبق وأن أقلقت القيادة اليهودية في الايام التي سبقت اقامة الدولة. فقد حرض حزب مبام على خلط يمني مع اسباني بين مندوبيه، لكن هذا الخلط الاجباري لم يؤد الى الفوائد المطلوبة منه، بل كان سببا في كثير من الحالات في تعطيل البناء التمثيلي. الليكود، لاسباب تاريخية معروفة، لم يكن مضطرا ولا بحاجة الى أن يضع في قيادته شخصيات من أصول عربية، ولكن من الصعب جدا التأكيد بأن وضع هؤلاء أم لا كان سببا في تحسين مكانة مناطقهم وبيئتهم، رغم أن نسبة تمثيل هؤلاء لا يقل عن نسبة تمثيلهم في البنية العليا القيادية في الحزب بشكل عام، وهؤلاء لا يقل تمثيلهم عن نسبة تمثيل اولئك الذين هم من أصول اوروبية (غربية) أو امريكية. يتضح أن نسبة التمثيل الطائفي ضرورية من اجل اللوحة، والاحساس بالذات والقدرات الشخصية وللمكانة في المجتمع، لكن ذلك لم يكن كافيا لتقليص الفرق في الدخول أو الامكانيات التي يحصلون عليها في المجتمع بسبب طبيعة الاماكن والاعمال التي يقومون بها (الوظائف).

السبب الرئيس في ذلك هو أن السياسة، حتى وإن كانت هي المسؤولة عن توزيع مصادر الدولة والمجتمع وتتجه نحو تعزيز وتقوية الاماكن والفروع الضعيفة في الدولة، لا تستطيع ذلك. والسبب الثاني هو أن امتلاك القدرة على التأثير السياسي الوطني، مرتبط في نفس الوقت بالتنازل عن الأولويات الأساسية في هذا النظام الطائفي ومصالحه. كما أن الموافقة على التنازل عن سلم الأولويات الطائفي ـ الذاتي لصالح الاطار العام، خدمة لوجود ممثليه في الهرم السياسي، يعني الكثير من التنازل الطائفي الذي يُظهر العملية وكأنها «حركة مضادة»، أي أن يكون ممثلا للطائفة ويتنازل عن أولويات مصالحها في اطار المصلحة العامة في الدولة. ومن الواضح أن حزب شاس يصلح ليكون مثالا على ذلك، فهو يحرض على إظهار البناء الشرقي في تركيبته (الحزبية)، ولكن وصوله الى مراتب ومكانة عالية تثير حفيظة الجمهور الغربي ـ العلماني، الذي اخرى في الدولة، وبذلك، فانهم واصلوا امتلاك القوة والتقوية للدولة دون أن يكونوا بحاجة الى أن يكونوا جزءا من السلطة والنظام الحاكم في السياسة كعنصر يمثل طائفة قوية تمتلك عددا كبيرا نسبيا من اليهود في الدولة، وهذا يعني أن امتلاك القوة (بالنسبة اليهم على الأقل) لم يكن مرتبطا بعدد ممثليهم في الدولة، سواء في الكنيست أو الحكومة، لأن القوة التي امتلكوها لم تكن مرتبطة بذلك على عكس بعض الفئات والاوساط الضعيفة الاخرى في الدولة. باختصار، فان السياسيين المتملكين للقدرات الذين يريدون الارتكاز على «روسيتهم» للوصول الى مبتغاهم، ليسوا بحاجة لأن يكونوا وزراء في حكومة ممثلين عن حزب كديما طالما أنهم امتلكوا القوة في الدولة وعلى المستوى الذي يريدونه. واذا أصروا على ذلك، فانهم لن ينجحوا في ذلك، لأن أبناء جاليتهم ليسوا بحاجة اليهم، وهذا مصدر للفخر وليس مصدرا للخيبة.

يارون لندن
كاتب في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/6/4

الاستماع الى ما سيقوله الرئيس الاقدم في المنطقة سيكون مفيدا

اولمرت يسير على خطى شارون في علاقاته مع مبارك

■ ذكريات طيبة توجد لحسني مبارك من العلاقة العميقة التي نشأت بينه وبين اريئيل شارون، وعلى هذا الجسر يعتزم ايهود اولمرت السير في لقائهما في شرم الشيخ اليوم.

أرى فيك الشريك الاهم في محاولتي الوصول الى اتفاق مع الفلسطينيين، سيقول رئيس الوزراء للرئيس المصري بروح الامور التي قالها شارون وسيضيف: «مصر ستبقى الدولة الاولى التي تتشاور معها اسرائيل في كل مسألة تتعلق بعلاقاتها مع دول المنطقة».

في كل لقاء عقده مع وزير المخابرات المصرية الجنرال عمر سليمان درج شارون على أن يقول له ان مصر ستحسن صنعا اذا عملت بحزم على وضع يدها على مخططي العمليات ضدها أو ضد اسرائيل. في أعماق سيناء، في أرجاء مصر وكذا في العربية السعودية وفي السودان.

مشاكل كبرى تربط اسرائيل ومصر وتلزمهما بالتنسيق الكامل والوثيق، وكلها مرتبطة بالارهاب: من الجانب الفلسطيني، من جانب القاعدة، من جانب الاخوان المسلمين. ومن المعلومات التي تلقاها اولمرت قبل سفره، علم أن المصريين يبذلون جهودا كبيرة لاكتشاف انفاق التهريب للوسائل القتالية في منطقة رفح ويوثقون التعاون في هذا المجال مع قوات الامن الاسرائيلية.

وستلقي بظلها على لقاء اليوم حادثة في اثنائها قتل جنود الجيش الاسرائيلي شرطيين مصريين في أثناء عيد الاسابيع. وحسب مصادر أمنية رفيعة المستوى حاول الشرطيان تنفيذ «مذبحة على نمط مذبحة رأس برقة». ورغم ذلك، ولاسباب سياسية، فقد عولج الحدث بحساسية من الجانب الاسرائيلي، بل ان قائد المنطقة الجنوبية يوآف جلنات التقى نظيره المصري ودعاه للمشاركة في التحقيق في الحدث.

ولكن المشكلة المركزية التي ستطرح اليوم في المحادثات بين مبارك واولمرت تتعلق بما يجري في قطاع غزة. وسيحث مبارك رئيس الوزراء على تعزيز ابو مازن وسيؤكد له بانه لا توجد اي نية لدى مصر لدعوة قيادة حماس. وتقول أوساط اولمرت ان حماس تشبه في نظر مبارك حركة الاخوان المسلمين في مصر، الاعداء الالداء للرئيس المصري.

ويعتزم اولمرت أن يعرض امام مضيفه الافكار المتعلقة بتطبيق خطة الانطواء اذا ما فشلت الاتصالات لاستئناف المفاوضات مع ابو مازن. اما مبارك فلن يجعل الحياة سهلة له في هذا الشأن. قبل كل شيء سيقول له يجب أن يسبق المفاوضات تعزيز مكانة ابو مازن. وخطوة احادية الجانب هي أمر ليس المصريون، مثل الاسرة الدولية، معنيين ابدا برؤيته.

وسيبلغ اولمرت مبارك بالمحادثات التي اجراها مع بوش في واشنطن. وضع مصر في الكونغرس الامريكي في اسوأ حال: المشرعون الامريكيون يهددون بين الآونة والاخرى بتقليص المساعدات العسكرية والاقتصادية لمصر ويعلقون ذلك ضمن امور اخرى على الوضع السيء لحقوق الانسان في بلاد النيل. ولا يخفي مبارك غضبه من التدخل الذي لا يطاق من ناحيته للولايات المتحدة في شؤون بلاده.

وقبل اسبوعين بعث بنجله جمال الى واشنطن سرا للقاء بوش، تشيني ورايس وعلى لسانه رسالة بسيطة: «انزلوا عن ظهر أبي، وذلك لانه اذا ما واصلتم الضغط عليه بافكاركم عن مزيد من الديمقراطية، ففي نهاية المطاف ستحصلون على الاخوان المسلمين».

وسينصت اولمرت بشدة الى أزمات وأحاديث الزعيم الاقدم في المنطقة بعد نزول شارون من المنصة. وهذا سيكون مجديا له.

ايهود اولمرت

حسني مبارك

شمعون شيفر
المراسل السياسي للصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/6/4

كما حدث في قانون التعويض لاخلاء المستوطنات

اولمرت صاحب موقف واضح وجدي بالنسبة لخطة الانطواء ولكنه لا يُقدم على الخطوات التمهيدية المطلوبة

■ عشية عيد نزول التوراة، أعلن رئيس الوزراء ايهود اولمرت عن تعيين تسفيا شمعون رئيسة لادارة سيلع. يونتان باسي الذي نفذ هذه الوظيفة التي لا تخلو من الجحود خلال فك الارتباط عن قطاع غزة، سينصرف الى بيته. تعين تسفيا التي تشغل اليوم منصب نائبة مدير عام بارزة في ديوان رئيس الوزراء، يُدلل على جدية نوايا اولمرت للاستعداد لخطة الانطواء كما يجب: بعد شهر من دخوله الى المنصب يُكلف موظفة كبيرة في الدولة بتنسيق الاستعداد لتنفيذها بعد عامين. الى جانب ذلك يعلن (في مقابلة مع «يديعوت احرونوت») عن قراره بتنفيذ الاخلاء من الضفة الغربية دفعة واحدة. هناك منطق في موقفه مع وجود شك في قدرته على التنفيذ.

من اجل اخلاء 70 ألف نسمة، هناك حاجة الى 15 ألف وحدة سكنية، وهذا الرقم الاحتياطي غير متوفر في متناول اليد. إسكان واعادة تأهيل 2700 عائلة كانوا قد اقتُلعوا من منازلهم في غوش قطيف وشمالي السامرة يتطلب من الدولة توفير خمسة مليارات شاقل. التكلفة المقدرة لصرف التعويضات للمُرحلين من الضفة الغربية والاستثمارات المطلوبة للبناء واعداد البنى التحتية تبلغ 50 مليار شيكل على الأقل (هذا لا يشمل مصاريف اعادة انتشار الجيش).

أضف الى ذلك أن الدولة قد ركزت خطة التعويضات للمُرحلين عن غوش قطيف على أساس الدروس المستفادة من انسحاب ياميت في سيناء في عام 1982: حل فردي لكل عائلة على حدة. في وقت لاحق تبين أن هذا خطأ جسيم: اغلبية المستوطنات طلبت ترحيلها بصورة جماعية، وهذا هو السبب من وراء التأخير في اعطاء حلول للمُرحلين. الى جانب ذلك لم تقدر الدولة كما يجب شدة المعارضة الايديولوجية لعملية الاقتلاع ورفض المستوطنين في قطاع غزة بناء على ذلك التعاون مع اجهزة الاخلاء والتعويض حتى لحظة الترحيل الأخيرة.

هذه المعطيات تُذكر من اجل تجسيد صعوبة التحدي الماثل أمام تسفيا شمعون. سيكون عليها أن تواجه مشاكل معقدة ذات حجم يبلغ 10 أضعاف تلك التي وضعت على كاهل يونتان باسي. من اجل الاستعداد بصورة معقولة للاخلاء القادم توجد حاجة الى المزيد من الوقت. في وقت لاحق تبين لادارة سيلع أنها كانت بحاجة ماسة الى سنة على الأقل من اجل الاستعداد لتطبيق مبادرة فك الارتباط. أما المدة المطلوبة لتنفيذ الانطواء فهي أكبر من ذلك.

هناك جانب آخر للصورة: اختراق الوعي في قضية الانسحاب من المناطق قد تم، ومهمة شمعون في مواجهة مستوطني الضفة الغربية قد تكون أسهل. كما أن وجهة اولمرت واضحة خلافا لشارون الذي فاجأ الجميع بمبادرته وأُحيط بانعدام الثقة في نواياه. اولمرت يتحدث بلغة لا لُبس فيها: خلال مقابلته مع «يديعوت احرونوت» صرح بأنه قد شبع من ملذات الحكم ومناعم السلطان في مناصبه السابقة، وأنه الآن يحمل رسالة تنفيذ الافتراق عن المناطق التي أُلقيت على كاهله. هذا الالتزام ليس لفظيا فحسب: بل انه أصيل وحقيقي وبارز حتى في علاقاته مع أبناء عائلته التي تعتبر مرجعيته الأكثر أهمية حسب وجهة نظره.

بسبب المصداقية التي يُعبر عنها موقف اولمرت بالتحديد في قضية فك الارتباط، يصعب فهم تساهله مع نفسه وهو يتوجه الى تنفيذها. هو يدرك بالتأكيد أن اختباره الحقيقي ومستقبله السياسي ـ في الواقع ومكانه في التاريخ الاسرائيلي ـ يعتمد على قدرته على تحقيق خطته، وهو يدرك بدون شك جسامة المعضلات الموضوعة في طريقه. لماذا لا يستجيب اذن الى اقتراحات المبادرة منذ الآن الى تشجيع المستوطنين في الضفة للعودة الى داخل الخط الاخضر طواعية مقابل تعويض عادل. كلما صغرت جبهة الرفض سيسهل على الدولة أن تواجه المستوطنين، وكلما كان الانسحاب ملموسا ازدادت احتمالية التوصل الى تفاهم معهم.

عوزي بنزيمان
كاتب رئيسي في الصحيفة
(هآرتس) 2006/6/4

يعتقد ان تبادل الاراضي الحل الافضل للتوصل لاقامة دولتين مستقلتين

رئيس مجلس الأمن القومي المغادر: فك الارتباط كان فرصة تاريخية ضائعة لانه لم يقم على قرار منهجي.. وخطة الانطواء لن تجلب الاستقرار للشرق الاوسط

■ «فك الارتباط عن قطاع غزة كان فرصة تاريخية كبيرة ضائعة، وخطة الانطواء لن تجلب الاستقرار للشرق الاوسط» هذا ما يقوله غيورا آيلاند في مقابلته الأخيرة كرئيس لمجلس الأمن القومي. أقواله هذه تشير الى الطريقة التي اتخذت فيها القرارات الاستراتيجية في اسرائيل خلال السنوات الأخيرة، من دون أي نقاش منهجي منظم. آيلاند يُنهي منصبه بعد عامين ونصف، ويحل محله ايلان مزراحي نائب رئيس الموساد سابقا.

■ أنت الذي خططت خطة فك الارتباط لشارون، فهل كانت خطوة صحيحة أم خاطئة؟

■ الخطة كانت فرصة ضائعة هائلة. الفرصة الضائعة تاريخية. أريد أن أوضح مقصدي: أنا لا اعتقد أن على اسرائيل أن تبقى في غزة، وانه لا يحق لسبعة آلاف اسرائيلي أن يعيشوا في غزة مقابل 1,3 مليون فلسطيني. ولكن الانسحاب كان خاليا من بعد النظر ولم يُسهم في أي شيء في حل الصراع الاسرائيلي الفلسطيني.

■ هل جرى نقاش منظم في الجهاز الرسمي الذي كنت جزءا منه حول صحة خطة فك الارتباط؟

■ لا، شارون أعلن الأمر في مؤتمر هرتسليا، وسرعان ما أتم فايسغلاس عرضه على الامريكيين والتزم أمامهم بخطوة كبيرة أحادية الجانب في غزة وفي الضفة. الانطباع لدى الامريكيين كان أن الانسحاب يبلغ 60 ـ 80 في المئة من الضفة. وبعد ذلك فورا تعهد شارون باخلاء مستوطنات غزة وخرجت الجياد من الحظائر لتبدد محاولاتي للتخطيط للعملية بصورة منظمة.

■ أي أن فكرة غير مبلورة بالمرة تحولت الى خطة ملزمة من دون مداولات منظمة ومن قبل استكمال عملية التخطيط؟

■ صحيح.

■ أوليس الانسحاب من غزة من دون ثمن خطأ استراتيجي؟

■ زيارة فايسغلاس الاولى والمقابلة مع يوئيل ماركوس تسببا في صعوبة مع الانسحاب من غزة. عندما تقول إن اخلاء المستوطنات جيد لاسرائيل فليس بامكانك أن تطالب بثمن لذلك. رايس قالت لنا ذلك صراحة وأوضحت لنا معنى الخطوة أحادية الجانب التي هي جيدة لمن يقوم بها.

■ وهذه هي الخسارة الجوهرية في نظرك؟

■ اجل. فك الارتباط كان فرصة تاريخية ضائعة لأن اسرائيل والعالم توصلا الى استنتاج متماثل في أواخر 2003: من المهم حل الصراع بسرعة، ولكنه غير قابل للحل ضمن التركيبة الحالية. لماذا لا يمكن حله؟ لأن الحد الأقصى الذي تستطيع اسرائيل دفعه أقل من الحد الأدنى الذي يتوجب على الفلسطينيين قبوله. ليست هناك نقطة التقاء. أنا من جانبي اعتقدت أن هذه فرصة لطرح صيغة جديدة. إلا أن فك الارتباط (والآن الانطواء) قالت إن الاحتلال سيء وأنه يحول دون الاتفاق، وعليه يتوجب تقليصه. هذا تفكير منطقي، إلا أنه لا يقود الى استقرار طويل الأمد. السير في الطريق أحادي الجانب يقودنا الى حل الدولتين الكلاسيكي، وهذا حل غير قابل للتطبيق حسب رأيي.

■ أوضح ما تقصده؟

■ عند التحدث عن حل الدولتين لشعبين يتم وضع افتراضين اثنين: امكانية حل الصراع في المساحة الواقعة بين النهر والبحر والخط الفاصل هو خط حزيران (يونيو) مع بعض التعديلات. أنا أرفض هذين الافتراضين، وأعتقد أنه لا توجد مساحة كافية لاحتواء دولتين بين النهر والبحر، وأن اسرائيل بحاجة الى 12 في المئة من مساحة الضفة على الأقل حتى تحتفظ لنفسها بحدود قابلة للحماية. خطوط حزيران (يونيو) وخطة كلينتون لا توفر لاسرائيل حدودا قابلة للحماية. وفي نفس السياق اعتقد ايضا أنه لا يمكن ضمان أمن اسرائيل من دون هضبة الجولان.

■ وهل تعتبر الدولة الفلسطينية الممتدة على 88 في المئة من مساحة الضفة قابلة للبقاء؟

■ هذا ادعائي الثاني. أنا اعتقد أن دولة فلسطينية تمتد على 100 في المئة من اراضي القطاع و97 في المئة من الضفة ليست قادرة على البقاء لانها ستكون دولة فقيرة ومتطرفة وغير مستقرة والضغط الديمغرافي فيها لا يطاق. في عام 2020 سيكون في غزة 2,5 مليون نسمة على مساحة 365 كيلومترا مربعا، هذا سيقود الى الانفجار بالتأكيد، وسيؤدي الى ضغط لا يطاق على الجدران، وفي أحسن الاحوال ستعود ظاهرة الفدائين في الخمسينيات، وفي اسوئها سيحدث انهيار شامل ومجابهة. وعليه، أقول إن حل الدولتين غير قابل للتطبيق على الارض رغم تبني العالم له.

■ وما هو بديلك؟

■ اقتراحي البديل كنت قد بلورته في عام 2004 وعرضته على شارون، وهو التوصل الى حل اقليمي باضافة 600 كيلومتر مربع لغزة من سيناء لبناء مطار دولي وميناء ومدينة يقطن فيها مليون فلسطيني، واعطاء 600 متر مربع من اراضي الضفة لاسرائيل لتوفير حدود قابلة للحماية وتعويض المصريين باعطائهم 150 كيلومترا مربعا في النقب الجنوبي وتعويض آخر على صورة مساعدة دولية وتنمية اقتصادية وحفر نفق يربط مصر بالاردن شمالي ايلات ونقل مساحة صغيرة (100 كيلومتر مربع) من الاردن للفلسطينيين حتى تكون لديهم 105 في المئة من المساحة التي يطلبونها اليوم. هذا الحل الذي يتجاوز نطاق مساحة النهر والبحر مريح لكل الأطراف. الدولة الفلسطينية تصبح قابلة للوجود، واسرائيل تحظى بحدود قابلة للحماية، ومصر تحظى بالازدهار والاعتراف الدولي، أما الاردن فيتخلص من ضغوط الصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني المتواصل الذي يهدد مستقبله بصورة غير مباشرة.

■ وهل يوجد استعداد لدى الفلسطينيين لدراسة الاقتراح؟

■ كل أتباع فتح الذين عرضت عليهم الخطة أبدوا الاهتمام فيها. أبو العلاء ودحلان وغيرهما. الفلسطينيون أكثر عملية مما نظنهم نحن. هم يدركون أهمية توسيع غزة واقامة دولة فلسطينية قابلة للبقاء.

■ والمصريون والاردنيون؟

■ أنا اعتقد أن من الممكن عرض اقتراح جذاب عليهم.

■ خطة الانطواء في الواقع تبدد الفرصة الأخيرة للسير في الطريق البديل الذي تقترحه أنت؟

■ الأمر لا يتعلق بالانطواء فقط. أمامنا هنا خطأ اسرائيلي تاريخي طويل المدى ومتواصل وغير قابل للصفح. نحن نقول للعالم منذ ثلاثين عاما بأن حل الصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني سيتوفر بين النهر والبحر. ستة أخطاء حدثت في هذه القضية: اتفاق السلام مع مصر وحرب لبنان ورفض فكرة الكونفيدرالية الاردنية الفلسطينية ومن ثم اوسلو فكامب ديفيد الثاني وفك الارتباط. النتيجة التراكمية لهذه الأخطاء تقودنا الى الأمام في المسار الموصل الى الطريق المسدود. في أواخر 2003 كانت هناك فرصة سانحة نادرة للانتقال الى مسار آخر، وقد تم تفويتها، وقد أصبحت الظروف التي تعيشها اسرائيل اليوم أقل جودة. قبل عامين ونصف لم يكن يخطر ببال أحد أن اسرائيل ستخلي المستوطنات، ولذلك كان من الممكن الحصول على أثمان باهظة مقابل الانسحاب، أما اليوم فقد أصبح تفكيك المستوطنات مسألة بديهية. لا توجد احتمالية لتكرار ما كان في عام 2004، ومن هنا يأتي احباطي.

■ وما هو رأيك في خطة الانطواء بحد ذاتها؟

■ تثير سلسلة من المعضلات التي تستوجب الاستيضاح، أولها معضلة المسار: كلما توغلنا شرقا، قل التوتر الداخلي في اسرائيل وقلت احتمالية الحصول على الشرعية الدولية. هذا ناهيك عن حقيقة كون الاماكن التي سنغادرها ذات ارتباط وبُعد تاريخي وأمني كبير وعميق. عدم ادارة العملية بصورة صحيحة قد يؤدي الى انهيار المجتمع الاسرائيلي.

■ وكيف سيؤثر الانطواء على الاردن؟

■ اذا بقي شريط اسرائيل على امتداد غور الاردن، فهذا يعني أن الاحتلال متواصل، والاحتكاك والضغط الدولي على اسرائيل سيتعاظمان. أما اذا أخلت اسرائيل المنطقة كليا، فستصبح الدولة الفلسطينية التي ستكون دولة حماس ذات حدود تبلغ 140 كم مع الاردن، وهذا لن يكون جيدا للاردنيين.

■ وهذا الوضع يؤثر على الاستقرار الداخلي في المملكة الهاشمية؟

■ بلا شك.

■ هل تعتقد أن الانطواء سيتمخض عن تعايش بيننا وبين الفلسطينيين؟

■ الانطواء لن يفضي الى الاستقرار، هذه الخطة لن تحل الصراع. الانطواء يهدد أبو مازن والاردن ومصر وبعض الدول العربية. وفي نفس الوقت يوفر الهواء لحماس التي تعتبر الطرف الوحيد الذي لا يخشاه لأن حكومة اسرائيل وحماس تلتقيان في مصالحهما هنا. الجانبان سيكونان معنيين بأن يسود الهدوء حتى تنفذ الخطة.

■ ما هو الواقع الناشئ بعد الخطة؟

■ واقع الدولتين من دون اتفاق. الدولة الفلسطينية التي ستقود ستكون دولة حماس متطرفة غير راضية وغير قادرة على البقاء، وعليه، ستسود حالة متواصلة من عدم الاستقرار.

■ هل تحادثت مع اولمرت حول الانطواء؟

■ لا. لقد قرأت عنها في الصحف مثل كل مواطن آخر.

■ هل تعتبر آلية اتخاذ القرارات في اسرائيل سليمة من دون صلة باولمرت أو شارون؟

■ لا.

أجرى المقابلة: آري شبيط
كاتب يساري